حاتم الأصم

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[9]

حاتم الأصم

حاتم الأصم

هو: حاتم بن عنوان.

وقيل:

هو: حاتم بن يوسف.

وقيل:

هو: حاتم بن عنوان بن يوسف.

يكنى: أبا عبد الرحمن.

وهو مولى للمثنى بن يحيى المحرابي.

صحب شقيق بن إبراهيم البلخيّ فهو أحد تلاميذه.

التوكل على الله:

سأل رجل أبا عبد الرحمن:

- علام بنيت أمرك هذا في التوكُّلِ على الله؟

قال حاتم الأصم:

- على خصال أربع:

علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي.

وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به.

وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أُبَادِرُه.

وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحى منه.

فقال الرجل:

- علام بنيت علمك؟

قال أبو عبد الرحمن:

على أربع:

على فرض لا يؤديه غيري فلِمَ أنا به مشغول.

وعلمت أن رزقي لا يجاورني إلى غيري فقد وثقت به.

وعلمت أني لا أخلو من عين الله طرفة عين فلِمَ أنا مستحي منه.

وعلمت أن لي أجلاً يبادرني فلأبادره.

أي شيء تعلمت؟

لزم حاتم الأصم شقيق بن إبراهيم البلخي ثلاثين سنة فسأله يومًا:

- أي شيء تعلمت؟

قال أبو عبد الرحمن:

- رأيت رزقي من عند ربي، فلم أشتغل إلا بربى.

ورأيت أن الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان عليَّ كل ما تكلمت به، فلم أنطق إلا بالحق.

ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهر ي والرب تعالى ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب، فسقطت عني رؤية الخلق.

ورأيت أن الله مستحثًا يدعو الخلق إليه، فاستعددت له متى جاءني يقتلني - يعنى: ملك الموت -.

فقال شقيق البلخيّ:

- يا حاتم، ما خاب سعيك.

وقيل:

قال شقيق لحاتم:

- مذ أنت صحبتني أي شيء تعلمت؟

قال أبو عبد الرحمن:

- ست كلمات.

قال شقيق بن إبراهيم البلخي:

- أولهن؟

قال حاتم الأصم:

رأيت الناس في شك من أمر الرزق وإني توكلت على الله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا} [سورة هود الآية: ٦]، فعلمت أني من هذه الدواب واحد، فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفَّل لي به ربي.

قال شقيق بن إبراهيم لحاتم:

- أحسنت، فما الثانية؟

قال حاتم الأصم:

- رأيت لكل إنسان صدي قاً يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره، فقلت: أنظر من صديق ي، فكل صديق وأخ قبل الموت، ف أردت أن أتخذ صديقًا يكون لي بعد الموت، فصادقت **الخير** ليكون مع إلى الحساب، ويجوز إلى الصراط ويثبتني بين يدي - أمام - الله عز وجل.

- فقال شقيق البلخيّ:

- أصبت، فما الثالثة؟

قال أبو عبد الرحمن:

- رأيت كل الناس لهم عدو، فقلت: أنظر من عدوى ؟ فأما من اغتابني فليس عدوى، وأما من أخذ مني شيئًا فليس هو عدو ي، ولكن **عدوي الذي إذا كنت في طاعة الله أمرن ي بمعصية الله**، فرأيت ذلك **إبليس وجنوده** فاتخذتهم عدوً ا، فوضعت الحرب بين ي وبينهم، ووترت قوسي ووصلت سهمي فلا أدعه يقربني.

قال شقيق بن إبراهيم:

- أحسنت، فما الرابعة؟

قال حاتم الأصم:

- رأيت الناس لهم طَالِبٌ كل واحد منهم يومًا واحدًا، فرأيت ذلك **ملك الموت** ففرغت له نفسي حتى إذا جاء لا ينبغي أن أمسكه فلمضي معه.

قال شقيق بن إبراهيم:

- أحسنت، فما الخامسة؟

قال أبو عبد الرحمن:

- نظرت في هذا الخلق فـأحببت واحدًا وأبغضت واحدًا، فالذي أحببته لم يعطني، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئًا، فقلت: من أين أتيت هذا؟ **فرأيت أني أتيت هذا من قبل الحسد** ، فطرحت الحسد من قلبي فلحببت الناس كلهم، **فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم.**

قال شقيق بن إبراهيم البلخي:

- أحسنت، فما السادسة؟

قال حاتم الأصم:

- رأيت الناس كلهم، لهم بيت وم أوى، **ورأيت م أوىَ القبر** ، فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي حتى أعمر قبر ي، فإن القبر إذا لم يكن عامرًا لم يستطع القيام فيه.

فقال شقيق بن إبراهيم البلخيّ:

- عليك بهذه الخصال الست، فإنك لا تحتاج إلى علم غيره.

القبر:

قال أبو عبد الرحمن:

من مرَّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يَدْعُ لهم - الأموات - فقد خان نفسه وخانهم.

وكان الصحابي الجليل أبو ذر الغفار ي - رضي الله عنه - يقول لأصحابه:

- ألا أخبركم بيوم فقرى؟ يوم أُوضع في قبري.

وقيل للصحابي الجليل أبى الدرداء:

- لِمَ تجلس في المقابر؟

قال أبو الدرداء:

- أجلس إلى قوم يذكرونني معادى، وإذا قمت عنهم لايغتابونني.

اشتغلتم بعبادة الرشيد عن طاعة الله:

قيل لأمير المؤمنين هارون الرشيد:

إن حاتم الأصم قد اعتزل الناس في قبة له منذ ثلاثين سنة، لا يحتاج إلى الناس في شيء من أمور الدنيا ولا يكلمهم إلا عند مسألة لابد له من الجواب لعله لبس به قد لوثته الوحدة. وقيل: إنه عاقل.

قال أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- سأمتحنه.

فندب له أربعة: محمد بن الحسن، والكسائ ي، وعمرو بن بحر، والأصمعي.

فجاءوا حتى وقفوا تحت قبة أبي عبد الرحمن ونادى أحدهم:

- يا حاتم: يا حاتم.

فلم يجبهم.

حتى قيل له:

- بحق معبودك ألا أجبتنا.

فلخرج رأسه وقال:

- يا أهل الحيرة: هذه يمين مؤمن لكافر وكافر لمؤمن، لم

خصصتموني بالمعبود دونكم؟ ولكن الحق جرى على ألسنتكم لأنكم اشتغلتم بعبادة الرشيد عن طاعة الله.

فقال أحدهم:

- ما علمك بأنا خدام الرشيد؟

قال حاتم الأصم:

- من لم يرض من الدنيا إلا بمثل حالكم لا يزل عن مطلبه إلى قصد من لا يخبره، ولا يد عليّ من الرشيد وأشباهه.

فقال له عمرو بن بحر:

- لم اعتزلت الناس وفيهم من تعلم، وفيهم من ي قدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

قال أبو عبد الرحمن:

- صدقت، ولكن بينهم سلاطين الجور يفتنونا عن ديننا، فالتخلي عنهم أولى.

قال عمرو بن بحر:

- فعلام وطنت نفسك في العزلة وثبت عليه أمرك؟

قال حاتم الأصم:

- علمت أن القليل من الرزق يكفيني، فأقللت الحركة في طلبه.

وأن فرضي لا يقبل إلا مني فأنا مشغول بأدائه.

وأن أجلي لابد يأتيني فأنا منتظر له.

وأنا لا أغيب عن عين من خلقن ي فاستح ي منه أن يران ي وأنا مشغول بغير ما وجب له محمد.

ثم رد باب القبة وحلف أن لا يكلمهم.

فرجعوا إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد.

وقد حكموا أنه أعقل أهل زمانه.

كيف تصلى؟

ذات يوم، مرَّ عصام بن يوسف بأبي عبد الرحمن وهو يتكلم في مجلسه فسأله:

- يا حاتم: هل تحسن الصلاة؟

قال حاتم الأصم:

- نعم.

قال عصام بن يوسف:

- كيف تصلى؟

قال أبو عبد الرحمن:

أقوم بالأمر، وأمشى بالسكينة - بال خشية - وأدخل بالنية وأكبّر بالعظمة و أقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالس نَّة وأسلمها با لإخلاص إلى الله عز وجل، وأرجع على نفس ي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني.

قال عصام بن يوسف:

تكلَّم فأنت تحسن الصلاة.

رأس ووسط وآخر الزهد:

جاء رجلٌ إلى حاتم الأصم، فقال:

- يا أبا عبد الرحمن: أ ي شيء رأس الزهد ووسط الزهد وآخر الزهد؟

قال حاتم الأصم:

رأس الزهد: **الثقة بالله.**

ووسطه: **الصبر**.

وآخره: **الإخلاص**.

وأنا أدعو الناس إلى ثلاثة أشياء:

إلى المعرفة، وإلى الثقة، وإلى التوكل.

فأما معرفة القضاء: فلن تعلم أن القضاء عدل منه، فإذا علمت أن ذلك عدل منه، لا ينبغ ي لك أن تشكو إلى الناس أو تهتم أو تسخط، ولكنه ينبغي لك أن ترضى وتصبر.

وأما الثقة: فالإياس من المخلوقين، وعلامة ا لإياس أن ترفع القضاء عن المخلوقين، فإذا رفعت القضاء عنهم استرحت منهم واستراحوا منك.

فلا تعد إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

وفعل التائب في أربعة:

أن تحفظ اللسان من الغيبة والكذب والحسد واللغو.

والثاني: أن تفارق أصحاب السوء.

والثالث: إذا ذكر الذنب تستحي من الله.

والرابع: تستعد للموت.

وعلامة الاستعداد: أن لا تكون في حال م ن الأحوال غير راض عن الله.

فإذا كان التائب هكذا، يعطيه الله أربعة أشياء:

أولها: يحبه، كما قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٢].

ثم يخرج من الذنب كأنه لم يذنب قط، كما قال صلى الله عليه وسلم :

التائب من الذنب كمن لا ذنب له - (رواه ابن ماجه، عن عبد الله بن مسعود).

والثالث: يحفظه من الشيطان كي لا يكون له عليه سبيل.

والرابع: يؤمنّه من النار قبل الموت كما قال تعالى: {أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [سورة فصلت الآية: ٣٠].

ويجب على الخلق أربعة أشياء ينبغي لهم أن يحبوا هذا التائب كما يحبه الله تعالى، ويدعوا له بالحفظ ويستغفروا له كما تستغفر له الملائكة، قال تعالى: {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [سورة غافر الآية: ٧]. **ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم.**

والرابع: أن ينصحوا للتائب كما ينصحون لأنفسهم.

عجائب لطف الله:

يقول حاتم الأصم:

لقينا الترك وكان بيننا جولة، فرمان ي ترك ي بوهق - الوهق؟ حبل في طرفه أن شو طة يطرح في عنق الإنسان حتى يؤخذ - فقلبن ي عن فرس ي ونزل عن دابته ف قعد على صدر ي وأخذ بلحيتي هذه الوافرة.

وأخرج التركي من خفه سكينًا ليذبح حاتم الأصم.

يقول أبو عبد الرحمن:

فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينة، إنَّما كان قلبي عند **سيدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه؟.**

قال حاتم الأصم:

- سيدي قضيت على أن يذبحني هذا، فعلى الرأس والعين، إ نَّما أنا لك وملكك.

فبينما أبو عبد الرحمن يخاطب سيده ومولاه، والتركي قاعد على

صدره آخذ بلحيته ليذبحه ؛ إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخط أ حلقه فسقط على الأرض، فقام إليه حاتم الأصم وانتزع السكين من يده وذبحه.

فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.

كيف لو نظر الخالق إلينا:

قال حاتم الأصم لأولاده:

- إني أريد الحج.

فبكوا وقالوا:

- إلى من تكلنا.

وكان له بنت صغيرة فقالت:

- **دعوه يذهب فليس برازق.**

فخرج حاتم الأصم إلى مكة، وبات أولاده جياعًا، فجعلوا يوبخون تلك البنت، فانفردت البنت بنفسها، ورفعت يديها إلى السماء وقالت:

- اللهمَّ لا تخجلني بينهم.

فمر بهم **أمير البلد**، فقال لبعض أتباعه:

- اطلب لي ماء.

فناوله أهل حاتم الأصم قدحًا جديدً ا فيه ماء بارد، فشرب الأمير وتساءل:

- دار من هذه؟

قالوا:

- دار حاتم الأصم.

فرمى فيها **كيسًا به ذهب** وقال:

- من أحبني وافقني.

فرمى أصحابه كلهم ما معهم من مال بجانب الكيس.

فجعلت البنت تبكي فقالت لها أمها:

- ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟

فقالت البنت:

- لأن مخلوقًا نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!

أنا رجل أعجمي:

دخل حاتم الأصم مدينة الر ي ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريدون الحج وعليهم الصوف، ليس معهم شراب ولا طعام، فدخلوا على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين، ف أضافهم تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم الأصم:

- يا أبا عبد الرحمن لك حاجة؟ فإني أريد أن أعود فقيهًا لنا هو عليلٌ.

فقال حاتم الأصم:

- إن كان لكم فقيه عليل، فعياد ة - زيارة - الفقيه لها فضل، والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضًا أجيء معك.

وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري.

قال أبو عبد الله الخواص، وهو من أصحاب وتلاميذ حاتم الأصم:

- سرّ بنا يا أبا عبد الرحمن.

فجاءوا إلى الباب، فإذا باب مشرف حسن فوقف حاتم الأصم متفكرًا:

- باب عالم على هذه الحال؟

ثم أذِنَ لهم فدخلوا، فإذا دار تتلألأ بالنور والأمتعة والستور، فوقف أبو عبد الرحمن متفكرً ا، ثم دخل إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، فإذا هو را قد على فرش وطي ئة وعند رأسه غلام ومُدْيَة.

وجلس الجميع إلا حاتم الأصم، ف أوما محمد بن م قاتل إليه، وقال له:

- اقعد.

فقال أبو عبد الرحمن:

- لا أقعد.

قال محمد بن مقاتل:

- لعل لك حاجة.

قال حاتم الأصم:

- نعم.

فتساءل محمد بن مقاتل:

- وما هي؟

قال أبو عبد الرحمن:

- مسالة أسالك عنها.

قال محمد بن مقاتل:

- سلني.

قال حاتم الأصم:

- نعم فاستو حتى أسالكها.

فأمر محمد بن مقاتل غلمانه فلسندوه فقال له أبو عبد الرحمن:

- علمك هذا من أين جئت به؟

قال محمد بن مقاتل:

- الثقات حدَّثُوني به.

قال حاتم الأصم:

- عن من؟

قال محمد بن مقاتل:

- عن أصحاب رسول الله ﷺ.

فتساءل أبو عبد الرحمن:

- رسول الله ﷺ من أين جاء به؟

قال محمد بن مقاتل:

- عن جبريل - عليه السلام -.

قال حاتم الأصم:

- ففيم أدَّاه جبريل عن الله؟ وأداه إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأداه أصحابه إلى الثقات، وأدَّاه الثقات إليك؟

هل سمعت في العلم من كان في داره أمير أو منعة أكثر كانت له المنزلة عند الله أكثر؟

قال محمد بن مقاتل:

- لا.

فتساءل أبو عبد الرحمن:

- فكيف سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته من كان عند الله المنزلة أكثر فأنت بمن اقتنعت بالنبي ﷺ وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر.

ثم نظر حاتم الأصم إلى الحاضرين وقال:

- يا علماء السوء: مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراكب فيها، فيقول: العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرًا منه.

وخرج حاتم الأصم من عند محمد بن مقاتل **فلؤداد مرضًا**.

وبلغ ذلك أهل الر ي ما جرى بين حاتم الأصم وقاض ي الر ي فقالوا:

- يا أبا عبد الرحمن: إن علي بن محمد الطنافسي بقزوين أكثو شيء من هذا.

فسار حاتم الأصم إلى الطنافسي متعمدًا فدخل عليه وقال له:

- رحمك الله، أنا رجل أعجم ي أحب أن تعلمني أول مبتدأ دينـي ومفتاح صلاتي، وكيف أتوضأ للصلاة؟

قال علي بن محمد الطنافسي:

- نعم وكرامة يا كلام: إناء فيه ماء.

فلتى الغلام بإناء فيه ماء، فقعد علي بن محمد الطنافسي فتوضأ ثلاثًا ثم قال:

يا هذا هكذا فتوضأ.

قال أبو عبد الرحمن:

- مكانك يرحمك الله، حتى أتوض أ بين يديك - أمامك - فيكون أوكد لِمَا أريد.

فقام علي بن محمد الطنافسي، وقعد حاتم الأصم، فتوضأ ثلاثاً ثلاثًا، حتى إذا غسل الذراعين غسل أربعًا.

فقال الطنافسي:

- يا هذا، أسرفت.

فقال له حاتم الأصم:

- فبماذا.

قال على بن محمد الطنافسي:

- غسلت ذراعيك أربعًا.

قال أبو عبد الرحمن:

- يا سبحان الله! أنا في كف ماء أسرفت **وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف؟**

فعلم على بن محمد الطنافسي أنه أراده بذلك، لم ير أن يتعلم منه شيئًا.

ودخل حاتم الأصم إلى البيت، فلم يخرج إلى الناس أربعين يومًا، وكتب إلى تجار الري وقزوين بما جرى بينه وبين محمد بن مقاتل وعلي بن محمد الطنافسي.

ولما دخل حاتم الأصم بغداد، اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له:

- يا أبا عبد الرحمن: أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته.

قال حاتم الأصم:

- معي ثلاث خصال، بهن أظهر على خصمي.

قالوا:

- أي شيء هي؟

قال أبو عبد الرحمن:

- **أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أتجهل عليه.**

فبلغ ذلك **أحمد بن حنبل** فقال:

- سبحان الله! ما أعقله، قوموا بنا حتى نسير إليه.

فلما دخلوا على أبي عبد الرحمن قالوا له:

- يا أبا عبد الرحمن: ما السلامة من الدنيا؟

قال حاتم الأصم:

- يا أبا عبد الله: لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال.

قال أحمد بن حنبل:

- أي شيء هي يا أبا عبد الرحمن؟

قال حاتم الأصم.

- تخفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك عنهم، وتبذل لهم شيئك، وتكون من شيئهم آيسًا، فإذا كان هذا سلمت.

ثم سار أبو عبد الرحمن إلى مدينة رسول الله ﷺ، فاستقبله أهل المدينة، فقال:

يا قوم: أي مدينة هذه؟

قالوا:

- مدينة رسول الله ﷺ.

قال أبو عبد الرحمن:

- فلأين قصر رسول الله ﷺ فلأصلي فيه ركعتين؟

قالوا:

- ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطىء.

فتساءل حاتم الأصم:

- فلأين قصور أصحابه بعده؟

قالوا:

- ما كان لهم قصور، إنما كان لهم بيوت لاطئة.

قال حاتم الأصم:

- يا قوم: فهذه مدينة فرعون وجنوده.

فذهبوا إلى وَالِي المدينة وقالوا له:

- هذا الأعجمي يقول: هذه مدينة فرعون وجنوده.

قال الوالى:

- ولِمَ ذلك؟

قال أبو عبد الرحمن:

- لا تعجل عليَّ، أنا رجل أعجم ي غريب دخلت المدينة، فقلت: مدينة من هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ، قلت: فأين قصر رسول الله ﷺ فأصلي فيه ركعتين، قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ، قلت: فلأصحابه بعده، قالوا: ما كان لهم قصور، إنَّما كان لهم بيوت لاطئة، وقال تعالى: { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ } [سورة الأحزاب الآية: ٢١]، فأنفتم بمن تأسيتم؟ برسول الله - ﷺ وأصحابه؟ أو بفرعون أول من بنى بالجص والآجر؟

فخلوا عنه وعرفوه.

فكان حاتم الأصم كلما دخل المدينة يجلس عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يحدث ويدعو، فاجتمع علماء المدينة وقالوا:

- تعالوا حتى نخجله في مجلسه.

فجاءوا وجلسوا وكان مجلسه غاصًا بالناس فقالوا:

- يا أبا عبد الرحمن: مسألة نسألك.

قال حاتم الأصم:

- سلوا.

قال علماء المدينة:

- ما تقول في رجل يقول: اللهم ارزقني؟

قال أبو عبد الرحمن:

- متى طلب هذا الرزق؟ في الوقت أم قبل الرزق؟

قالوا:

- ليس يفهم هذا يا أبا عبد الرحمن.

قال حاتم الأصم:

- إن كان هذا العبد طلب الر زق من ربه **في وقت الحاجة فنعم** . وإلا فـأنتم عندكم حرث ودر اهم في ألكياسكم وطعام في منا زلكم وأنتم تقولون: اللهم ار زقنا قد ر زقكم الله فكلوا وأطعموا إخوانكم.

قالها ثلاثا، ثم أردف:

- فسلوا الله حتى يعطيكم، أنت عسى أن تموت غدًا، أو تخلف هذا على الأعداء، وأنت تسأله أن يرزقك زيادة.

فقال علماء المدينة:

نستغفر الله يا أبا الرحمن: إنما أردنا بالمسالة تعنتًا.

حاتم الأصم وأحاديث رسول الله ﷺ :

كان أبو عبد الرحمن قليل الحديث، فلم يسند إليه إلا حديث النبـي ﷺ عن الزهري، عن أنس، قال:

قال رسول الله ﷺ :

صلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار، وسلم إذا دخلت بيتك يكثر خير بيتك - (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

حاتم الأصم والقرآن:

كان أبو عبد الرحمن يقرأ القر آن ويتد بّر آياته، فإذا قرأ آية ذكرت فيها النار، استعاذ الله منها، وإذا قرأ آية ذكرت فيها الجنة،

دعا الله عز وجل أن يكون من أصحابها.

سال رجل أبا عبد الرحمن عن معنى قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا} [سورة هود الآية: ٦].

قال حاتم الأصم:

كل دابة لم ترزق رزقًا تعيش به فقد رزقت روحها، فكل دابة ما جاءها من رزق فَمِنَ الله.

فقال الرجل:

- من أين نأكل يا أبا عبد الرحمن؟

قال حاتم الأصم:

- من عند الله.

فقيل له:

- الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟

قال أبو عبد الرحمن:

- كأن ما له إلا السماء؟ يا هذا الأرض والسماء له، فإن لم يؤتى رزقي من السماء ساقه إلى من الأرض.

وأنشد:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي :: ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفل بالأر زاق للخلق كلهم :: وللضبِّ في البيداء والحوت في البحر

ثم قال أبو عبد الرحمن:

{وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة المنافقون الآية: ٧].

وسئل أبو عبد الرحمن عن قوله تعالى: {إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [سورة الحجر الآية: ٧٢].

قال:

{سَكْرَتِهِمْ}: غوايتهم وضلالتهم.

فقال الرجل:

{غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [سورة هود الآية: ١٠١].

قال حاتم الأصم:

- غير تخسير وهلاك.

وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ: {وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} [سورة التوبة الآية: ١٦].

قال:

{وَلِيجَةً}: بطانة وأصحاب سر وأولياء.

وسأل رجل أبا عبد الرحمن عن قوله تعالى: {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ} [سورة الأنعام الآية: ٧٠].

قال:

- لئلا تحبس في النار أو تسلم للهلكة.

وسئل حاتم الأصم عن قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} [سورة التوبة الآية: ٢٨].

قال:

{عَيْلَةً}: فقر وفاقة بانقطاع تجارتكم عن المشركين.

وسئل أبو عبد الرحمن عن قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر الآية: ٦٠].

قال:

{دَاخِرِينَ}: صاغرين أذلاء.

وسئل حاتم الأصم عن قوله تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾}

[سورة الصافات الآية: ١٤٢].

قال:

{مُلِيمٌ}: آت بما يلام عليه وهو ذو النون يونس بن متى عليه السلام.

فقيل:

{فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾} [سورة الصافات الآية: ١٤١].

قال أبو عبد الرحمن:

{فَسَاهَمَ}: فقارع من في الفلك.

{ٱلْمُدْحَضِينَ}: المغلوبين بالقرعة.

تلاميذ حاتم الأصم:

صحب أبا عبد الرحمن: أحمد بن الخضر، وهو المعروف بابن خضرويه البلخي، عبد الله الخواص و...، و....

من أقوال حاتم الأصم:

قال أبو عبد الرحمن:

- لو أن صاحب خير جلس إليك ليكتب كلامك **لاحترزت** منه، وكلامك يعرض على الله **فلا تحترز**.

- لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد، ما طمع الشيطان أن يوسوس لي في شيء من أرزاقهم.

- ما من صباح إلا والشيطان يقول لي:

ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟

فأقول:

آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

- وسأل رجل أبا عبد الرحمن:

- ما تشتهي؟

قال حاتم الأصم:

- أشتهي عافيةٍ يوم إلى الليل.

فقيل له:

- أليست الأيام كلها عافية؟

قال أبو عبد الرحمن:

- إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه.

- تعهد نفسك في ثلاثة مواضع:

إذا عملت فاذكر نظر الله إليك.

وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك.

وإذا سكتَّ فاذكر علم الله فيك.

- من أصبح وهو مستقيم في أربعة أ شياء فهو يتقلَّب في رضا الله:

أولها: الثقة بالله.

ثم التوكل.

ثم الإخلاص.

ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

- من ادَّعى ثلاثًا بغير ثلاث، فهو كذَّاب:

من ادَّعى حب الله بغير ورع عن محارمه فهو كذَّاب.

ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذَّاب.

ومن ادَّعى حب النبي ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذَّاب.

- الرياء على ثلاثة أوجه:

وجه الباطن ووجهان الظاهر:

فأما الظاهر: فالإسراف والفساد فإنه جوز لك أن تحكم أن هذا رياء لا شك فيه، فإنه لا يجور في دين الله الإسراف والفساد.

وأمَّا الباطن: فإذا رأيت الرجل يصوم ويتصدق فإنه لا يجور لك أن تحكم عليه بالرياء، فإنه لا يعلم ذلك إلا الله - سبحانه وتعالى -.

* لا أدرى أيهما أشد على الناس؟ ابتلاء العجب أو الرياء؟

العجب داخل فيك، والرياء يدخل عليك ، العجب أشد عليك من الرياء، ومثلهما أن يكون معك في البيت كلب عقور وكلب آخر خارج البيت، فأيهما أشد عليك؟ الذي معك أو الخارج، فالداخل العجب والخارج الرياء.

* الحزن على وجهين:

حزن لك، وحزن عليك.

فأما الذي عليك: فكل شيء فاتك من الدنيا فتحزن عليه **فهذا عليك**.

وكل شيء فاتك من الآخرة وتحزن عليه **فهو لك**.

وتفسيره: إذا كان معك درهمان فسقطا منك وحزنت عليهما فهذا حزن الدنيا.

وإذا خرجت منك زلَّة أو غيبة أو حسد أو شيء مما تحزن عليه وتندم عليه فهو لك.

* إذا رأيتم من الرجل ثلاث خصال فاشهدوا له بالصدق:

إذا كان لا يحب الدراهم ويسركن قلبه بهذين الرغيفين. ويعزل قلبه من الناس.

إذا تصدقت بالدراهم فإنه ينبغي لك خمسة أشياء:

فلا ينبغي لك أن تعطى وتطلب الزيادة.

ولا ينبغي لك أن تعطى من ملامة الناس.

ولا ينبغي لك أن تمن على صاحبه.

ولا ينبغي لك إذا كان عندك درهمان فتعطي واحدًا تـأمن من ه ذا الذي بقى عندك.

ولا ينبغي لك أن تعطي تبتغي الثناء.

مثلهما مثل رجل يكو ن له دار فيها غنم له، وللدار خمسة أبواب وخارج الدار ذئب يدور حولها، فإن أخذت أربعة أبواب وبقى باب واحد دخل الذئب وقتل الغنم كلها، وهكذا إذا تصدقت وأردت هذه الخمسة أشياء شيئًا واحدً ا فقد أبطلت الصدقة.

* **التوبة:** أن تتنبه من الغفلة وتذكر ال ذنب، وتذكر لطف الله، وحكم الله، وستر الله إذا أذنبت لم ت أمن الأرض والسماء أن يأخذاك، فإذا رأيت حكمه رأيت أن ترجع من الذنوب **مثل اللبن إذا خرج من الضرع لا يعود إليه، فلا تَعُدْ إلى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع.**

* من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت:

موتًا أبيض.

وموتًا أسود.

وموتًا أحمر.

وموتًا أخضر.

فالموت الأبيض: **الجوع.**

والموت الأسود: احتمال **أذى الناس**.

والموت الأحمر: مخالفة النفس.

والموت الأخضر: **طرح الرقاع بعضها على بعض**.

* كان يُقال: العجلة من الشيطان.

إلاَّ... في خمس:

إطعام الطعام إذا حضر الضيف.

وتجهيز الميت إذا مات.

وتزويج البكر إذا أدركت.

وقضاء الدين إذا وجب.

والتوبة من الذنب، إذا أذنب.

* الكسل عون على الزهد.

*** لا يغلب الم ؤمن عن خمسة أشياء:** عن الله عز وجل، وعن القضاء، وعن الرزق، وعن الموت، وعن الشيطان.

* اطلب نفسك في أربعة أشياء:

العمل الصالح بغير رياء.

والأخذ بغير طمع.

والعطاء بغير منَّة.

والإمساك بغير بُخْل.

* قال رجل لحاتم الأصم:

- عظني.

قال أبو عبد الرحمن:

- إن كنت تريد أن تعصى مولاك فاعصه في موضع لا يراك.

* من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه، ولم يدع لهم - الموتى - فقد خان نفسه وخانهم.

* أربعة لا يعرفها إلا أربعة:

لا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ. ولا قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرض، ولا قدر الحياة إلا الموتى.

الإسلام ما ظهر، والإيمان ما بطن فالإسلام: هو الاستسلام والانقياد، والإيمان: هو التصديق بالقلب.

الإسلام والإيمان: هما عملٌ بالأركان، وإقرار باللسان، وتصديق بالْجِنَان.

* * *